البيئات الحضرية والسلوك

الفصل العاشر من كتاب

مدخل الى جغرافية الحضر الاجتماعية

بول نوكس و ستيفن بنج

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

الأسئلة الرئيسية التي يتناولها هذا الفصل

- ما هي جغرافيات الجريمة وغيرها من السلوكيات المنحرفة في المدن ؟
- كيف يُمكننا تفسير هذه الأنماط على أفضل وجه ؟
- كيف يُكوّن الناس صورًا للمناطق الحضرية ، وكيف ترتبط هذه الصور بسلوكهم ؟

تعود جذور جغرافية السلوك إلى نظرية السلوك الكلاسيكية "الملاحظة - المُحفِّز - الملاحظة - الاستجابة" لعالم النفس ج. ب. واتسون (1913) . يكمن تعقيد الجغرافيا الاجتماعية المعاصرة في أن السلوك لم يعد يُوصف فقط من حيث المُحفِّز ورد الفعل . بل يُنظر إلى المُحفِّزات من حيث المعلومات (من أي نوع) التي تُصفّى من خلال عناصر الإدراك والتأمل والوعي قبل إثارة الاستجابات السلوكية (السلوكية) (الشكل 10.1). تُشكّل فكرة التكييف البيئي محور هذا المنظور بأكمله . يُقدم عمل نيوسون و نيوسون (1965) حول أنماط رعاية الرضع مثالاً كلاسيكياً على ذلك . فقد جادلا بأن الأحياء الفقيرة تتميز بفقر التحفيز الحسي ، وببيئات مزدحمة تعيق اللعب ، وبمواقف غير مستنيرة تجاه تربية الأطفال . وخلصا إلى أن النتيجة النهائية هي أن التكييف البيئي الذي يختبره الأطفال الذين يكبرون في مثل هذه البيئات يُنتج أفراداً "غير اجتماعيين" ذوي طبيعة تنافسية منسجمةً فقط مع المجموعة الاجتماعية المباشرة ، مما يجعلهم غير مؤهلين للتعامل مع أشكال المنافسة الأكثر دقة التي تسود في العالم الخارجي . وبالتالي، فقد قيل إن هذا النوع من التكييف البيئي يميل إلى الحد من الإبداع والقدرة على التكيف والمرونة . والنتيجة هي أفراد يعانون من حرمان مضاعف ، يسعون من جهة إلى إشباع قصير الأجل ، ويفتقرون إلى التناغم مع الأعراف والقواعد الراسخة في المجتمع ككل ، بينما يعجزون من جهة أخرى عن صياغة بديل متماسك أو معارضة لهذه الأعراف والقواعد .

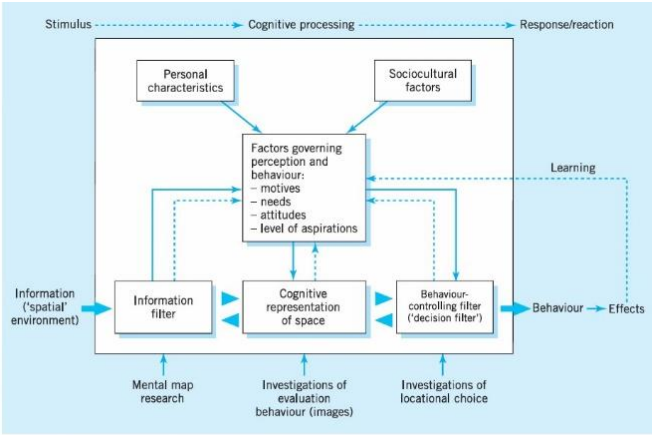

Figure 10.1 A model of behaviour in human geography.
Source: After Werlen (1993).

لكن هذا النوع من الحجج يثير تساؤلات عديدة حول الآليات والعمليات المعنية . كيف ، على سبيل المثال ، تُحافظ القيم المحلية المميزة في البيئات المحلية ؟ وإلى أي مدى تُحافظ القيم المحلية... هل تؤثر المواقف على انتشار أنماط سلوكية معينة ؟ ما مدى أهمية البيئة المبنية ؟ وما دور العوامل الطبقية الأوسع ؟ كما سنرى من خلال دراسة الأفكار المتعلقة بالسلوك المنحرف ، هناك طيف واسع من النظريات .

نظريات حول السلوك المنحرف

يمكن تعريف المجموعة الفرعية المنحرفة بأنها مجموعة داخل المجتمع لديها معايير تختلف اختلافًا جوهريًا عن معايير غالبية السكان . يغطي مفهوم الانحراف العديد من الخطايا الاجتماعية ، لكن الجغرافيين اهتموا بشكل أكبر بالسلوك الذي يتميز بنمط مميز من التباين داخل المدن ، مثل الدعارة والانتحار والتغيب عن المدرسة والجنوح وإدمان المخدرات . في الواقع ، يبدو أن معظم جوانب السلوك المنحرف تُظهر نمطًا مكانيًا محددًا من نوع ما ، بدلاً من توزيعها عشوائيًا في جميع أنحاء المدينة . ولكن ، في حين أن الخلاف حول طبيعة الأنماط نفسها ضئيل ، فإن النظريات والأبحاث في الجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم النفس البيئي أقل حسمًا بشأن تفسيرات هذه الأنماط . فعلى سبيل المثال ، يرى بعض الكُتّاب أن السلوك المنحرف استجابة مرضية لبيئة اجتماعية و/أو مادية معينة.

يجادل آخرون بأن بعض السمات المادية أو الاجتماعية تعمل كمؤشرات بيئية لأنواع معينة من السلوك ؛ بينما يرى آخرون أن بيئات معينة تجذب ببساطة أنواعًا معينة من الناس . وحتى وقت قريب ، كانت جميع النظريات تقريبًا حول الاختلافات المكانية في السلوك المنحرف تشترك في عنصر مشترك يتمثل في الحتمية البيئية ، والتي عادةً ما تُعزى إلى حُتميي مدرسة شيكاغو . في هذا القسم ، يُلخص الجوانب الأكثر تأثيرًا لهذه النظرية قبل الانتقال إلى دراسة موجزة للجغرافيا داخل المدن لأحد أنواع السلوك المنحرف - الجريمة والانحراف - كتوضيح لمدى تعقيد العلاقات الفعلية بين البيئات الحضرية والسلوك البشري .

نظرية الحتمية

لا داعي للتكرار المُطوّل للعلاقات بين البيئات الحضرية والسلوك المنحرف التي افترضها أتباع نظرية ويرث . فالرأي العام هو أن السلوك المنحرف هو نتاج إما سلوك تكيفي أو عدم تكيف مع الحياة الحضرية ، أو مع الحياة في أجزاء معينة من المدينة . وبالتالي ، يُعتقد أن الانعزال وانعدام الشخصية اللذين يتطوران استجابةً للمحفزات المتنافسة والمتطلبات المتضاربة للمواقف الاجتماعية المختلفة يؤديان إلى انهيار العلاقات الشخصية والنظام الاجتماعي ، وإلى زيادة العزلة الاجتماعية ، مما يُسهّل بدوره ظهور سلوك غير تقليدي متمركز حول الذات ، ويُعجّل بأنواع مختلفة من السلوك المنحرف .

وقد جُمعت الأدلة التي تدعم هذه المبادئ لنظرية الحتمية على عدة جبهات . كان علماء النفس البيئي أول من بحثوا في فكرة "الحمل النفسي الزائد" الناتج عن بيئات معقدة أو غير مألوفة ، وروج لها ألفين توفلر (1970) ، الذي اقترح أن الحاجة إلى "جمع ومعالجة" معلومات إضافية في مثل هذه المواقف يمكن أن تؤدي إلى "صدمة مستقبلية" : وهي الاستجابة البشرية للتحفيز المفرط . وقد أظهر علماء النفس أن طبيعة هذه الاستجابة تتخذ أشكال عدة : فعلى سبيل المثال ، تتضمن "استراتيجية ديرنييه" استبعاد الواقع غير المرغوب فيه من الإدراك ، وفي شكل متطرف ، يمكن أن تؤدي إلى بناء عالم أسطوري يصبح بديلاً عن العالم الحقيقي ، حيث قد ينظر الشخص المعني إلى السلوك المنحرف على أنه "طبيعي" .

ومن الاستجابات الأخرى قيام الناس "بإدارة" عدة أدوار أو هويات مميزة في وقت واحد . وفقًا لنظرية الحتمية ، يُعدّ هذا سمةً مميزةً للبيئات الحضرية ، نظرًا للفصل المادي والوظيفي بين "الجماهير" التي تُخاطبها الأدوار المختلفة : العائلة ، والجيران ، وزملاء العمل ، وأعضاء النوادي ، وما إلى ذلك . وبالتالي ، يميل الناس إلى تقديم "ذوات" مختلفة تمامًا في سياقات اجتماعية مختلفة . ومرة أخرى ، قد يؤدي هذا الشكل المتطرف من السلوك إلى الانحراف . فالمدينة ، بخياراتها الواسعة من الأدوار والهويات المختلفة ، تُصبح "مسرحًا سحريًا" ، و"سوقًا للأساليب" ، كما أن عدم الكشف عن الهوية الذي توفره سهولة الانتقال من دور إلى آخر يُسهّل بوضوح ظهور سلوكيات غير تقليدية ومنحرفة .

كما أُشير إلى أن المزيد من الانحراف أو الأمراض قد ينتج عن ضغوط الحفاظ على هويات مختلفة ، وربما متضاربة ، لفترة طويلة . ومع ذلك ، **فقد انصبّ الاهتمام الأكبر على اللاشخصية والعزلة الناتجتين ظاهريًا عن العبء النفسي الزائد المرتبط ببعض البيئات الحضرية** . وهناك العديد من مظاهر هذه اللاشخصية ، أبرزها الشلل الجماعي للمسؤولية الاجتماعية الذي يبدو أنه يحدث في مناطق وسط المدينة في حالات الأزمات . والمثال الكلاسيكي الذي يُستشهد به كثيرًا هو مقتل كاثرين جينوفيز، التي طُعنت حتى الموت في حيّ مرموق في كوينز بنيويورك ، حيث شهد الحادثة ما يقرب من 40 شخصًا ، لم يحاول أيٌّ منهم حتى الاتصال بالشرطة . وتأتي أدلة أخرى على عدم "تدخل المارة" وعدم الرغبة في مساعدة الغرباء من التجارب التي ابتكرها علماء النفس . وهذا السلوك بحد ذاته منحرف إلى حد ما ، بالطبع ؛ لكن أهميته لنظرية الحتمية تكمن في الطريقة التي يُعزز بها انتشار أشكال أكثر خطورة من الانحراف من خلال تقويض المسؤولية الاجتماعية والرقابة الاجتماعية .

النتيجة الإجمالية لهذه الأشكال المختلفة من السلوك التكيفي هي إضعاف الدعم الشخصي والقيود الاجتماعية ، وتشويش المعايير السلوكية . وهذا بدوره يُعطي دافعًا عامًا إضافيًا للسلوك المنحرف . ترتبط مشاعر العزلة بين "الجمهور الوحيد" بالعصاب وإدمان الكحول والانتحار؛ وترتبط الحالة اللاأخلاقية الناجمة عن إضعاف المعايير السلوكية وتزايد مستويات الوقاحة بأشكال مختلفة من الجريمة والانحراف . ومع ذلك ، يصعب إثبات أو دحض الروابط بين التوتر والسلوك التكيفي والعزلة الاجتماعية والفوضى الاجتماعية واللاأخلاقية والانحراف نظرًا لصعوبة التحكم في العديد من المتغيرات المتداخلة مثل العمر والطبقة والتعليم والشخصية .

ومع ذلك ، فقد وجدت العديد من الدراسات حول الاختلافات داخل المدن في السلوك المنحرف أنه من المفيد الاستعانة بنظرية الحتمية في تفسير جزئي على الأقل للأنماط التي تمت مواجهتها . على سبيل المثال ، ارتبطت جغرافية النهب أثناء انقطاع الكهرباء في مدينة نيويورك (الشكل 10.2) ارتباطًا وثيقًا بأنماط الفقر. وبقدر ما تستند نظرية الحتمية إلى آثار التحضر على السلوك البشري ، فإن الاستنتاج هو أن بعض أجزاء المدينة أكثر "تحضرًا" (وفقًا لنظرية ويرث). (الشعور) أكثر من غيره ، مع مزيد من الفوضى الاجتماعية ، وزيادة في معدل الفوضى ، وبالتالي ، ارتفاع في معدل السلوك المنحرف .

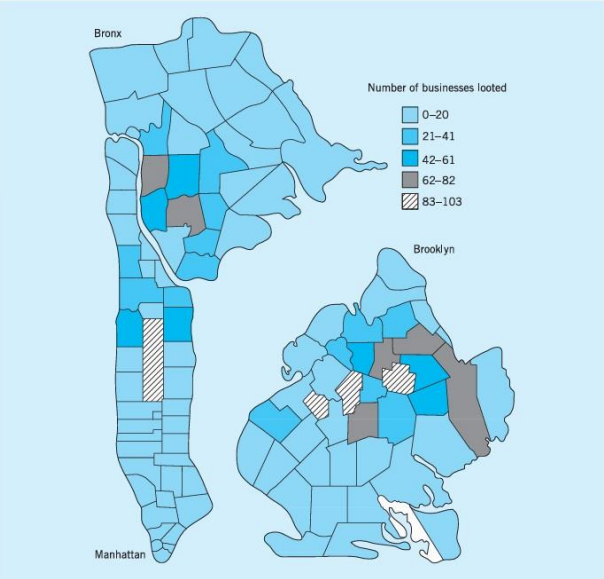

Figure 10.2 Looting in New York: businesses approved for Re-establishment Grants by the mayor's Emergency Aid Commission.
Source: After Wohlenberg (1982), Fig. 2, p. 36.

نظرية الازدحام

يوجد الآن قدر كبير من الأدبيات التي تربط بين الكثافة السكانية العالية ، بغض النظر عن الخصائص الأخرى للتحضر، ومجموعة واسعة من السلوكيات المنحرفة . ويُقال إن الكثافة العالية والشعور بالازدحام يخلقان ضغوطًا وتوترات يمكن أن تؤدي إلى العدوانية أو الانسحاب ، أو في حال عدم نجاح هذه الاستراتيجيات ، إلى مرض عقلي أو جسدي . ويعزو الكثيرون الصلة الأولية بين الازدحام والتوتر إلى شعور فطري بالإقليمية . وقد روّج علماء الأعراق لهذه الفكرة ، إذ يعتقدون أن البشر، مثل العديد من الحيوانات الأخرى ، يخضعون لسمة وراثية تنتجها الأنواع . الحاجة إلى الإقليم كمصدر للأمان والأمن والخصوصية . ويُنظر إلى الإقليمية أيضًا على أنها تُلبي الحاجة إلى التحفيز (التي توفرها "النزاعات الحدودية") والتعبير الجسدي عن الهوية الشخصية . ويُعتقد أن هذه الاحتياجات تُشكل "ضرورة إقليمية" قوية : وهي مكون طبيعي للسلوك من الواضح أن الازدحام سيُعطله .

يعتمد هذا النهج بشكل كبير على الأبحاث السلوكية التي أُجريت على الحيوانات ، حيث يُمكن إثبات الروابط بين الازدحام والتوتر والسلوك غير الطبيعي بوضوح في ظل ظروف المختبر. على سبيل المثال ، أظهر كالهون (1962) ، في دراساته الشهيرة لسلوك الفئران ، أن الازدحام يؤدي إلى العدوانية والخمول والاختلاط والمثلية الجنسية وما يُعادل جنوح الأحداث لدى القوارض . يؤدي إسقاط هذه الأفكار مباشرةً على السلوكيات البشرية إلى فكرة **أن سكان المدن المزدحمين هم "قردة قاتلة"** . وقد أكد منتقدو نظرية الازدحام المخاطر الواضحة التي ينطوي عليها امتداد سلوك الحيوان إلى البشر: فالبشر ليسوا جرذانًا ؛ وليس من المؤكد بأي حال من الأحوال أن البشر يمتلكون أي شعور فطري بالإقليمية ؛ وعلى أي حال ، حتى أكثر الأحياء الفقيرة ازدحامًا لا تقترب من مستويات الازدحام التي تعرضت لها حيوانات التجارب .

ومع ذلك ، من الصعب الجزم بشكل قاطع بوجود أي صلة بين الإقليمية والازدحام والسلوك المنحرف في التجمعات البشرية . قد توجد الإقليمية لدى البشر من خلال الاكتساب الثقافي حتى لو لم تكن غريزة فطرية ، لأن الإقليمية في شكل حقوق الملكية توفر للمجتمع وسيلة لتمييز الرتب الاجتماعية وتنظيم التفاعل الاجتماعي . هناك مجموعة كبيرة من الأدلة تدعم فكرة السلوك الإقليمي لدى الرجال والنساء في المناطق الحضرية ، أيًا

كان مصدر هذا السلوك . الأفراد يُمثل الوطن ملاذًا آمنًا وتعبيرًا عن الهوية . على مستوى الجماعة ، يُدافع أعضاء العصابات عن "مناطق نفوذهم" بصرامة واحتفالية . ويبدو أيضًا أن الجماعات الاجتماعية الأكثر تعقيدًا وتطورًا تُظهر سلوكًا إقليميًا ، كما هو الحال في "العلاقات الخارجية" لمختلف الجماعات الاجتماعية التي تشغل "أحياءً محمية" في المناطق الداخلية للمدن الأمريكية . وإذا سلمنا بأن البشر يكتسبون شكلًا من أشكال الإقليمية ، فمن المعقول أن الازدحام قد يُسبب التوتر، وبالتالي يُعجل بقدر معين من السلوك المنحرف . ومع ذلك ، فإن الأدلة غامضة . تُشير بعض الدراسات إلى وجود علاقة واضحة بين الازدحام والأمراض الاجتماعية والجسدية ، بينما تُشير دراسات أخرى إلى نتائج متناقضة ، وما يزال النقاش برمته يُثير الجدل في جميع التخصصات الاجتماعية والبيئية .

الحتمية التصميمية

بالإضافة إلى النقاش العام حول نظرية الازدحام ، وُجه قدر متزايد من الاهتمام نحو الآثار السلبية للبيئة المبنية على سلوك الناس . بشكل عام ، يُقترح أن تصميم وترتيب المباني والمساحات يُنشئ أحيانًا بيئاتٍ دقيقة تُثبط أنماط التفاعل الاجتماعي "الطبيعية" وتُشجع على السلوكيات المنحرفة بمختلف أنواعها . وقد جُمعت أدلةٌ كثيرةٌ تدعم هذه الفكرة . فعلى سبيل المثال ، وُثِّقت الآثار المُثبطة للمباني الشاهقة والشقق المُطلة على السطح على التفاعل الاجتماعي ونمو الطفل في عددٍ من الدراسات المختلفة ؛ ومن هذه الدراسات ، يُمكننا القول إن الدراسات التي تُشير إلى العلاقة بين جوانب مُعينة من التصميم الحضري وحدوث جوانب مُعينة من الانحراف ، مثل المرض العقلي والانتحار، ليست بعيدةً عن الدراسات التي تُشير إلى العلاقة بين جوانب مُعينة من التصميم الحضري وحدوث جوانب مُعينة من الانحراف ، مثل المرض العقلي والانتحار . طبيعة هذه العلاقات ليست واضحةً تمامًا.

وقد طرح بيتر سميث (1977) اقتراحًا مُثيرًا للاهتمام ، حيث اقترح أن ترتيب المباني والمساحات يُنشئ "تركيبًا لغويًا" من الصور والرمزية ، يستجيب له الناس من خلال توليفةٍ من "ردود الفعل الغريزية" وردود الفعل الفكرية . لذا ، من المرجح أن تبدو البيئات التي تهيمن عليها لغة بصرية غير مألوفة أو غير منطقية مُهددة أو مُربكة : وهي صفات قد تُعجّل بجوانب مُعينة من الضيق أو السلوك المنحرف . وهناك صلة أكثر شهرةً ودراسةً بين التصميم الحضري والسلوك المنحرف ، وهي مفهوم "الفضاء القابل للدفاع" لأوسكار نيومان (1972) . اقترح نيومان أن الكثير من الجرائم البسيطة ، والتخريب ، والسطو، والسطو في مشاريع الإسكان الحديثة ، يرتبط بتضاؤل الحياة المجتمعية ، وتراجع الضوابط الاجتماعية المحلية ، نتيجةً لعدم قدرة السكان على التماهي مع المساحة الواقعة خارج باب منزلهم ، أو ممارسة أي سيطرة عليها . وجادل بأن هذا كان نتيجةً لـ"التصميم خارج" التعريف والترسيم الإقليمي في مشاريع الإسكان الجديدة ، بما يتماشى مع الذوق السائد بين المهندسين المعماريين .

بمجرد أن تصبح المساحة الواقعة خارج المسكن مباشرةً مساحةً عامة ، اقترح نيومان أنه لن يشعر أحدٌ بأنه ملزمٌ بـ"الإشراف عليها" أو "الدفاع عنها" ضد المتسللين . وقد حظيت أفكار نيومان بدعم بعض الأعمال التجريبية ، ولاقت استحسانًا كبيرًا في المهن المعنية بالتصميم الحضري ، حيث ابتكروا حكمةً تقليديةً جديدةً خاصة بهم : تُعدّ المساحة القابلة للدفاع عنها الآن عنصرًا أساسيًا في ممارسة التصميم الحضري ، وقد أيدتها العديد من وكالات إنفاذ القانون كجزء من حركة دولية تُعرف باسم "منع الجريمة من خلال التصميم البيئي (CPTED)." من ناحية أخرى ، تعرّض عمل نيومان لانتقاداتٍ شديدةٍ لجودة تحليله الإحصائي ولإهماله التفاعل بين المتغيرات المادية والاجتماعية .

الاغتراب

يُعدّ مفهوم الاغتراب مفهومًا محوريًا في النظرية الماركسية ، حيث يرتبط بفقدان سيطرة العمال على قوة عملهم في ظل نمط الإنتاج الرأسمالي . يُفهم الاغتراب أيضًا في النظرية الماركسية كآلية للتغيير الاجتماعي تُسهم في نقيض نمط الإنتاج السائد . ومع ذلك ، فإن لمفهوم الاغتراب دلالات اجتماعية وسياسية أوسع ، ذات صلة بتفسير السلوك المنحرف . بمعناه الأوسع ، يتميز الاغتراب بمشاعر العجز، وعدم الرضا ، وانعدام الثقة ، ورفض التوزيع السائد للثروة والسلطة . تنبع هذه المشاعر عادةً من تجربة الناس لبعض جوانب النظام الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي . قد... يشعر البعض بالاغتراب لأنهم يشعرون بأن بنية هذه الأنظمة تمنع مشاركتهم الفعالة ؛ وقد يشعر آخرون بالاغتراب لأنهم يختلفون مع طبيعة هذه الأنظمة - ربما بسبب عدم فعاليتها في تلبية الاحتياجات الإنسانية . مهما كان مصدر هذه المشاعر، فمن الواضح أنها قائمة على الخبرة ، وبالتالي فهي تركز مكانيًا ، إلى حد ما ، على منطقة إقامة الناس . وهذا يجعل الاغتراب عاملًا تفسيريًا جذابًا عند النظر في الاختلافات المكانية في سلوك الناس ، كما لاحظ منظرو الحتمية الأوائل بسرعة

كان الاهتمام الرئيسي في هذا الصدد منصبًا على العلاقة بين الاغتراب والسلوك السياسي ، ولكن قُدِّم اقتراح أيضًا بأن بعض جوانب السلوك المنحرف قد تكون مرتبطة بمشاعر الاغتراب . قد يتجلى هذا السلوك في اللامبالاة : وهو سلوك غير تقليدي إلى حد ما في حد ذاته ، ولكنه أكثر أهمية إذا كان سائدًا بما يكفي لتآكل النظام الاجتماعي . بدلاً من ذلك ، قد يُعجّل الاغتراب بالانحراف مباشرةً من خلال شكل من أشكال النشاط ، والذي قد يتراوح بين أشكال الاحتجاج الشاذة والعنف والإرهاب .

نظرية التكوين

نظرية التكوين هي نتاج مدرسة فكرية أخرى تطورت من كتابات حُتميي شيكاغو . يُؤكد أصحاب نظرية التكوين على تماسك وحميمية العوالم الاجتماعية المميزة القائمة على العرق أو القرابة أو الحي أو المهنة أو نمط الحياة ، رافضين فكرة أن هذه الشبكات الاجتماعية تتضائل بأي شكل من الأشكال بسبب الحياة الحضرية . كما يُقلّلون من شأن الآثار النفسية لحياة المدينة على سلوك الناس ، مُشيرين إلى أن السلوك يتحدد إلى حد كبير بالوضع الاقتصادي والخصائص الثقافية والوضع العائلي وما إلى ذلك : وهي السمات التي تُحدد العوالم الاجتماعية نفسها التي يعيشون فيها . نظرية التكوين ليست مُصممة صراحةً لتحليل السلوك المنحرف ، ولكنها تُقدم منظورًا مميزًا لهذه المسألة . يُنظر إلى الانحراف ، كغيره من أشكال السلوك ، على أنه نتاج لتركيبة السكان المحليين ، حيث تُعدّ العادات الاجتماعية والمواقف السياسية والسمات الثقافية لبعض الفئات أكثر إنتاجًا للسلوك غير التقليدي أو المنحرف من غيرها . يُوضح نمط الأمراض المنقولة جنسيًا في لندن هذا المنظور التركيبي .

الكتابات على الجدران كعلامات إقليمية

شهدت حالات هذا المظهر الخاص من السلوك المنحرف ذروة ملحوظة لسنوات عديدة في منطقة جليسات الأطفال في غرب وسط لندن ، وخاصةً حول إيرلز كورت . والتفسير، من منظور التركيبي ، هو النسبة العالية من الشباب العابرين في المنطقة - ومعظمهم من الشباب العزاب الذين يعيشون في غرف مفروشة - والذين تختلف عاداتهم الجنسية عن عادات بقية السكان ، والذين يزداد تعرضهم للأمراض المنقولة جنسيًا وغيرها من الأمراض المنقولة جنسيًا بسبب وجود نسبة كبيرة من الشباب الذكور الذين أصيبوا هم

أنفسهم بالعدوى قبل وصولهم إلى لندن . وفقًا للفولكلور الحضري في لندن ، يُلقى اللوم في هذا الصدد بشكل كبير على الأستراليين الذين يصلون إلى لندن بعد زيارة بانكوك .

نظرية الثقافة الفرعية

ترتبط نظرية الثقافة الفرعية ارتباطًا وثيقًا بنظرية التكوين . ومثل الأخيرة ، تؤمن نظرية الثقافة الفرعية بـفكرة العوالم الاجتماعية ذات الخصائص الاجتماعية والديموغرافية المميزة وأنماط الحياة المميزة التي تُنمّي أشكالًا معينة من السلوك . بالإضافة إلى ذلك ، ترى نظرية الثقافات الفرعية أن هذه العوالم الاجتماعية ، أو الثقافات الفرعية ، ستتكثف بسبب صراع الحياة الحضرية وتنافسها ؛ وأن ثقافات فرعية جديدة ستنشأ كمجموعات متخصصة ناتجة عن وصول المهاجرين والمهاجرات ، و... يصل التمايز الهيكلي الناتج عن التصنيع والتحضر إلى "الكتلة الحرجة" اللازمة للحفاظ على شبكات اجتماعية متماسكة . وهكذا : من بين الثقافات الفرعية التي أفرزتها أو عززتها التوسعات الحضرية ، تلك التي يُعدها المجتمع الأوسع إما منحرفة تمامًا ، مثل الجانحين والمجرمين المحترفين والمثليين جنسياً ؛ أو على الأقل "غريبة" - مثل الفنانين ومبشري الطوائف الدينية الجديدة والمثقفين ؛ أو كاسرة للتقاليد - مثل مُجرّبي أنماط الحياة والمتطرفين والعلماء. (فيشر، ١٩٧٦، ص ٣٤)

ما يُنظر إليه على أنه انحراف من قِبل المجتمع الأوسع ، يُنظر إليه من قِبل أعضاء هذه المجموعات الثقافية الفرعية على أنه شكل طبيعي من النشاط وجزء من النظام الاجتماعي الداخلي للمجموعة . لا تحمل نظرية الثقافات الفرعية في حد ذاتها أي دلالات مكانية صريحة ، لكن استمرار وجود الجماعات الثقافية الفرعية يعتمد إلى حد كبير على تجنب الصراع مع الجماعات الأخرى . يمكن تجنب الصراع من خلال حدود سلوكية ضمنية تتجاوزها الجماعات التي "تعد" بعدم التعدي عليها : وهو نوع من العقد الاجتماعي ؛ لكن الوسيلة الأكثر فعالية للحفاظ على التسامح بين الجماعات هي من خلال الفصل المكاني . تجعل هذه الفكرة نظرية الثقافات الفرعية جذابة في تفسير الاختلافات المكانية في السلوك المنحرف . وقد أثبتت فائدتها ، على سبيل المثال ، في دراسات السلوك المنحرف .

كما تتوافق نظرية الثقافات الفرعية بشكل ملائم مع فكرة انتقال الثقافة ، حيث تنتقل المعايير المنحرفة من جيل إلى آخر داخل بيئة محلية . وقد حدد مايهيو (1862) هذه العملية منذ أكثر من 140 عامًا في "مستعمرات" لندن ، حيث "يولد" الأطفال وينشأون في تجارة الجريمة ؛ وقد أبرزها شو وماكاي (1942) في دراستهما الكلاسيكية لمدرسة شيكاغو حول الانحراف . ومن المفاهيم الأخرى ذات الصلة بفهم السلوك المنحرف داخل ثقافة فرعية محلية ما يُسمى بتأثير الحي السكني ، حيث يميل الناس إلى التوافق مع ما يعدونه معاييرا محلية من أجل كسب احترام أقرانهم المحليين . وقد عُرضت أدلة تجريبية على هذه الظاهرة في عدد من الدراسات . ويبدو أن العديد من جوانب سلوك الناس تتأثر بشكل مباشر بتأثير الحي السكني . فعلى سبيل المثال ، يمكن عد متلازمة "فقر الضواحي" المتناقضة في التقسيمات السكنية الجديدة للمالكين والمستأجرين نتاجًا لتأثيرات الحي السكني التي تعمل على فرض أنماط استهلاك الطبقة المتوسطة على العائلات الوافدة ، التي لا تكفي دخول الكثير منها لمواكبة دخل جيرانها ، ولكنها مع ذلك تشعر بأنها ملزمة بالتوافق مع عادات جيرانها .

النظرية البنيوية

ينظر هذا المنظور إلى قواعد السلوك الاجتماعي وتعريفات السلوك المنحرف كجزء من البنية الفوقية للمجتمع ، أي إطار التنظيم الاجتماعي والفلسفي الذي ينبع من العلاقات الاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع

(ينظر الفصل الثاني) . ويُقال إن تعريفات الانحراف تحمي مصالح الطبقة المهيمنة ، مما يساعدها على مواصلة هيمنتها . في المجتمع الحديث ، يمكن عد السلوك المنحرف نتيجة مباشرة للضغوط المرتبطة بالتناقضات المتأصلة في عمل النظام الاقتصادي . ومن التناقضات الواضحة في هذا السياق ضرورة وجود "جيش احتياطي" من العمالة الفائضة ، وهو جيش ضعيف ، بمعنى كونه عاجزًا ، ولكنه في الوقت نفسه خطير، لأن أعضائه يمثلون مجموعة متقلبة محتملة . وتفسر الحاجة إلى الحفاظ على هذا الجيش الاحتياطي وتهدئة الاضطرابات بين أعضائه الإنفاق الاجتماعي الكبير لدول الرفاهية الحديثة ؛ في حين أن الحاجة إلى التحكم في سلوك أعضائها تُفسر القواعد والتعاريف المُرتبطة بالعديد من جوانب السلوك "المنحرف" المرتبط بضغوط البطالة ، والقمع والتدهور الناتج عن الدعم الهامشي من قِبل دولة الرفاهية .

وهناك تناقض مهم آخر، كما يُقال ، وهو أنه في حين يتطلب تراكم رأس المال عمالاً أصحاء ، فإنه يميل أيضاً إلى إضعافهم من خلال آثار الضغوط الناتجة عن الضوابط المختلفة المفروضة على القوى العاملة . ومن أمثلة هذه الضوابط أنماط التنشئة الاجتماعية التي تُشكل جزءاً من البنية الفوقية للمجتمع ، حيث يُكافأ الأفراد على كونهم منافسين دون أن يكونوا فرديين للغاية ، ويُشجعون على إنفاق مكافآتهم على اقتناء الممتلكات المادية . مصادر التوتر هذه متفشية في النظام الرأسمالي ، لكنها موزعة بشكل غير متساوٍ بين الطبقات ؛ فالعمال يعانون من أكثر من نصيبهم من التكاليف أو الضغوط ، وأقل من نصيبهم من الفوائد . لذا ، ليس من المستغرب أن تكون الطبقات العاملة ممثلة بشكل غير متناسب في بيانات انتشار الأمراض العقلية ، وإدمان المخدرات والكحول، والجريمة. (ن. سميث، 1984، ص 132)

التفسيرات متعددة العوامل للجريمة والانحراف

أدت صعوبة التوفيق بين الأدلة المتضاربة ظاهريًا والمتعلقة بهذه النظريات المختلفة ، حتمًا ، إلى نهج أكثر مرونة ، حيث تُقبل التفسيرات متعددة العوامل للسلوك المنحرف دون ربطها بمنظور نظري محدد . وهذا أمر شائع في جميع فروع أبحاث الانحراف الاجتماعي ، على الرغم من أنه ربما يكون من الأفضل توضيحه فيما يتعلق بالجريمة والانحراف . لقد دعمت الدراسات التجريبية للاختلافات المكانية في الجريمة والانحراف ، بدرجات متفاوتة ، نظريات الازدحام ، والتفكك الاجتماعي ، والفوضى ، وحتمية التصميم ، والثقافات الفرعية المنحرفة ؛ ولكن من الصعب جمع الأدلة التي تدعم أي نظرية على حساب غيرها . وفي غياب أي منظور نظري بديل شامل ، يصبح النهج الانتقائي متعدد العوامل إطارًا جذابًا للتفسير.

مشاكل البيانات

تخضع الأدلة التي يمكن استخلاصها من دراسات الاختلافات المكانية في الجريمة والانحراف ، كما هو الحال في العديد من البحوث الجغرافية الاجتماعية ، لمؤهلات مهمة تتعلق بطبيعة البيانات وأساليب البحث المستخدمة . لذلك ، تجدر الإشارة إلى بعض الصعوبات والمخاطر التي ينطوي عليها هذا النوع من البحوث قبل المضي قدمًا في توضيح تعقيد العلاقات المتبادلة بين البيئة والسلوك التي تشير إليها نتائج البحوث التجريبية . تتعلق إحدى أهم المشاكل الأساسية بجودة البيانات . تعتمد معظم الأبحاث على البيانات الرسمية المستمدة من وكالات إنفاذ القانون ، وعادةً ما تكون هذه البيانات بعيدة كل البعد عن الشمولية في تغطيتها . لا تُسجل العديد من الجرائم في السجلات الرسمية لعدم إبلاغ الشرطة بها ؛ كما أن البيانات المتعلقة بالمجرمين تُضعف أكثر بسبب معدل الكشف المنخفض نسبيًا لمعظم الجرائم . الأمر الأكثر إثارة للقلق هو احتمال ألا تُقدم البيانات المُسجلة عينة تمثيلية .

وقد جادل العديد من الباحثين بأن البيانات الرسمية متحيزة ضد مرتكبي الجرائم من الطبقة العاملة ، مما يُشير إلى أن الشرطة أكثر ميلًا إلى السماح باستبدال العقوبات الأبوية بالعقوبات القانونية في مناطق الطبقة المتوسطة ، وأن مناطق الطبقة العاملة تخضع لرقابة أمنية مكثفة ، وأن الإبلاغ عن الجرائم من قِبل البالغين متحيز بالمثل . وعلى النقيض من ذلك ، فإن جرائم "ذوي الياقات البيضاء" - مثل الاحتيال ، والتهرب الضريبي ، والتلاعب في حسابات النفقات ، وما إلى ذلك - غالبًا ما تكون أقل من المبلغ عنها ، ويصعب اكتشافها ، حتى عندما يتعلق الأمر بمبالغ كبيرة من المال . أشار بعض النقاد إلى أن هذا التحيز قد تفاقم بسبب ميل البحوث التجريبية إلى البيانات المتعلقة بجرائم العمال . قد يُعزى ذلك جزئيًا إلى التفاوت في توافر البيانات حول أنواع مختلفة من الجرائم ، ولكن يبدو أيضًا أن البيانات المتعلقة بجرائم ذوي الياقات البيضاء قد أُهملت لأنها ، ببساطة ، أقل قابلية للفرضيات الحتمية .

ولأن بيانات العديد من المتغيرات المهمة المتعلقة بالجريمة متاحة فقط لمجموعات من الأشخاص وليس للأفراد ، فقد اتبعت العديد من الدراسات نهجًا بيئيًا ، حيث درست الاختلافات في الجريمة بين المجموعات الإقليمية . يُعد هذا النهج جذابًا بطبيعته للجغرافيين ، ولكنه ينطوي على بعض القيود والمزالق . يتمثل القيد الرئيسي للدراسات البيئية في أنها لا تستطيع تقديم أدلة قاطعة على الروابط السببية . وهكذا ، على الرغم من أن فئات معينة من المجرمين قد توجد في مناطق مزدحمة و/أو غير منظمة اجتماعيًا ، إلا أن سلوكهم الإجرامي قد يكون مرتبطًا في الواقع بأسباب أخرى - كالاغتراب أو عوامل الشخصية ، على سبيل المثال - وقد ينشأ الارتباط البيئي ببساطة من انجذابهم إلى نوع معين من الأحياء السكنية . إن المأزق الرئيسي المرتبط بالدراسات البيئية هو ما يسمى بالمغالطة البيئية : خطأ استخلاص استنتاجات حول الأفراد بناءً على الارتباطات المحسوبة للمناطق . ومن الأمثلة ذات الصلة الارتباط الشائع داخل المدن البريطانية بين معدلات الجريمة والأحياء التي تحتوي على أعداد كبيرة من المهاجرين . يستنتج الكثيرون أن المهاجرين وثقافاتهم الفرعية ميالون بشكل خاص نحو الجريمة والانحراف ؛ لكن الأبحاث التجريبية على مستوى الفرد أظهرت في الواقع أن المهاجرين أقل انخراطًا بكثير في الجريمة والاضطرابات المحيطة بهم في المناطق التي يعيشون فيها من جيرانهم البيض .

جغرافية الجريمة في المناطق الحضرية

مع وضع هذه القيود في الحسبان ، ما الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من الدراسات التجريبية حول العوامل التي تُسرّع الجريمة والانحراف ؟ أولًا، من المفيد التمييز بين العوامل التي تؤثر على نمط حدوث الجريمة والانحراف وتلك التي تؤثر على نمط إقامة المجرمين . تتميز معظم المدن بمناطق مميزة للغاية حيث يكون معدل حدوث الجريمة والانحراف أعلى بكثير من المتوسط . في العديد من المدن ، يتوافق النمط مع التوزيع النموذجي الذي حُدد في شيكاغو في عشرينيات القرن الماضي ، حيث ارتفعت المعدلات المنخفضة في الضواحي باطراد حتى بلغت ذروتها في وسط المدينة ومنطقة الأعمال المركزية . أما الاستثناءات الأبرز فهي في المدن الأوروبية ، حيث أصبحت أعدادا كبيرة من الأسر ذات الدخل المنخفض "المشكلة" متمركزة في مجمعات الإسكان العام في الضواحي . ومع ذلك ، بالتفصيل، تختلف أنماط الحدوث اختلافًا كبيرًا حسب نوع الجريمة .

في دراسته الرائدة للجريمة في سياتل ، أظهر شميد تركيز جرائم سرقة المتاجر والاحتيال على الشيكات في منطقة الأعمال المركزية ، والسرقة والسطو في المناطق الضواحي ، والسطو وسكر النساء في منطقة "سكيد رو" (شميد، 1960) . في دراسة لاحقة للمدينة نفسها ، وُجد أن النمط السائد لحدوث الجريمة

يرتبط بالمناطق الداخلية للمدن ذات التماسك الاجتماعي المنخفض ، حيث تركزت أعمال السطو وسرقة السيارات وخطف حقائب اليد (شميد وشميد، 1972). وقد أظهرت دراسات مدن أخرى ارتباطًا عامًا مشابهًا بين حدوث الجريمة والفقر، وكشفت التحليلات البيئية التفصيلية عن ارتباط واضح بين الأحياء ذات الدخل المنخفض وجرائم العنف ، بما في ذلك القتل والاغتصاب والاعتداء . تشير الأدلة أيضًا إلى أن المناطق الانتقالية - ذات نسبة عالية من الأراضي المخصصة للتصنيع والبيع بالجملة ، وبيئة متدهورة ماديا ، وشيخوخة سكانية - ترتبط بتركيز منفصل ومتميز بالقدر نفسه من الجرائم التي تشمل السرقة والسطو وسرقة السيارات ، بالإضافة إلى الاعتداء والقتل .

ومن العلاقات المهمة الأخرى التي تظهر من الدراسات التجريبية العلاقة بين جرائم الممتلكات - السطو والسرقة وسرقة السيارات - والأحياء الضواحي المستقرة ذات الدخل المتوسط والعالي ، وبين جرائم العنف والأحياء السوداء . يُعدّ المنظور التركيبي مفيدًا في تفسير هذه النتائج المختلفة : الفكرة هنا هي أن المجتمعات تمر عبر "دورات حياة" أو "مسارات مهنية" في تجربتها مع الإجرام مع تغير التركيبة الديموغرافية لسكانها استجابةً لتدهور الأحياء وتغيرات دورة حياة الأسرة . نظرًا لأن سنوات الذروة لمعدلات الجريمة هي سن المراهقة وأوائل العشرينات ، فمن المتوقع أن تشهد الأحياء التي تضم نسبًا عالية من الشباب في هذا العمر مستويات عالية من الإجرام ، خاصة إذا وقع الحي في دوامة من التدهور الاقتصادي والتدهور المادي الذي يزيد من مشاعر الحرمان النسبي لدى الشباب .

وقد طُوّر المنظور التكويني إلى ما يُعرف **بنظرية الأنشطة الروتينية للجريمة** ، حيث تؤدي الخصائص الديموغرافية أو الطبقية الاجتماعية إلى أنماط نشاط معينة تجمع بين الشروط الثلاثة الأساسية للجريمة : وجود مجرم مدفوع ، وهدف مناسب ، وغياب وصي مؤهل . وقد تبيّن أن للاختلافات المكانية في فرص الجريمة أهمية بالغة في دراسات أنماط وقوع أنواع مختلفة من الجرائم ، مع وجود علاقة واضحة بين قيم الممتلكات وجرائم اقتحام المنازل . وتُعدّ إمكانية الوصول، والرؤية، والتحكم في الممتلكات ، والكثافة السكانية ، وحالة الإصلاح المادي ، أهم جوانب البيئة الدقيقة لجرائم العنف . ويُعد مفهوم نيومان للمساحة القابلة للدفاع عنها ذا صلة واضحة هنا . باختصار ، هناك صفات مرتبطة بموقع الجريمة تتعلق بالبيئة المبنية وتصميمها ، والاستخدام التفصيلي للأرض - وبالبيئة الاجتماعية - وحالة البيئة ، وأنماط النشاط المحلي ، وأنظمة التحكم المحلية . يُمثل الشكل 10.3 محاولةً لتوضيح ذلك ، مع التركيز على التركيبة الاجتماعية والديموغرافية ، والأنشطة الروتينية ، والفرص المتاحة .

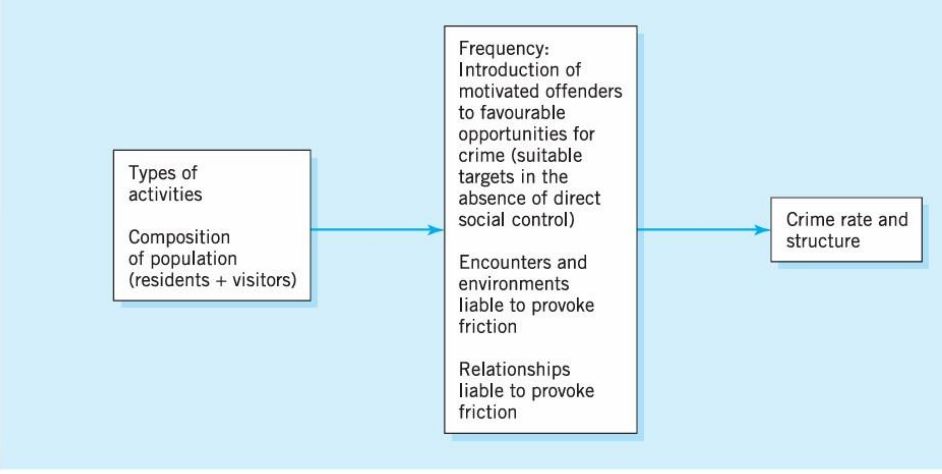

Figure 10.3 Variation in crime (offence rate) and structure in the urban environment.
Source: Bottoms and Wiles (1992), Fig. 1.1.

تخضع أنماط إقامة المجرمين لنطاق أوسع بكثير من العوامل التفسيرية ، على الرغم من أنها ، كما هو الحال مع أنماط الحدوث ، تُظهر نظامًا اجتماعيًا متسقًا وتجمعًا يجعلها مناسبة للتحليل البيئي . على الرغم من وجود اختلافات حسب نوع الجريمة وعمر المجرم ، فإن النمط الكلاسيكي هو الذي وصفه شو وماكاي (1942) لشيكاغو وغيرها من المدن الأمريكية : تدرج منتظم ، مع معدلات منخفضة في الضواحي وذروة في وسط المدينة . لم تقتصر هذه التدرجات على مدن أمريكا الشمالية فحسب ، بل شملت أيضًا جميع المدن الغربية تقريبًا التي تتوفر أدلة عليها . ومع ذلك ، أصبحت الانحرافات عن هذا النمط أكثر وضوحًا مؤخرًا مع تغير الهيكل المكاني للمدينة الغربية . شهدت العديد من المدن تحولًا خارجيًا في أماكن إقامة المجرمين مع تغييرات في التنقل السكني وسياسات الإسكان .

حددت الدراسات البريطانية ، على وجه الخصوص ، مجموعات محلية من المجرمين في المجمعات السكنية التابعة للسلطات المحلية على أطراف المدينة ، مما يشير إلى أن البيئة الاجتماعية لا تقل أهمية عن البيئة المادية في تفسير أنماط المجرمين . وقد تجاهلت معظم الأبحاث الجغرافية التأثير المحتمل للعوامل الشخصية (مثل التركيبة الجسدية والعقلية) والعوامل المرتبطة بالأسرة والمدرسة ومكان العمل ، وذلك للتركيز على السياق الاجتماعي والمادي الذي يوفره الحي السكني . ومن هذه الدراسات ، ثمة أدلة دامغة تربط المجرمين المعروفين بأحياء وسط المدينة التي تتميز بالازدحام وسوء الإسكان ، والفقر ، والبطالة ، و... اختلال التوازن الديموغرافي . في المدن التي توجد فيها مجموعات هامشية من المجرمين ، يبدو أن هناك متلازمة إضافية تربط المجرمين بمشاريع الإسكان العام التي تضم نسبًا عالية من العائلات ذات الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدني بشكل خاص ، والذين تم إخلاء العديد منهم في مناطق سكنية تعاني من مشاكل من خلال آليات تخصيص المساكن للسلطات العامة .

وقد اتبعت بعض الدراسات هذا النهج البيئي العام بفحص العوامل المحلية الأقل وضوحًا التي قد تكون مرتبطة بالجريمة والانحراف : القيم والمواقف السائدة المرتبطة بمناطق مختلفة . على سبيل المثال ، جادلت سوزان سميث (1986) بأن توزيع الجريمة يعكس نمط حياة المجتمع وأنماط نشاطه ، وأن آثار الجريمة، بدورها، تساعد في تشكيل هذه السلوكيات الحضرية الروتينية . وفي حين يمكن الاستشهاد بالأدلة لدعم نظريات ومفاهيم معينة ، فقد أثبتت الأبحاث التجريبية أيضًا أنه من الممكن إيجاد دعم لنظريات مختلفة تمامًا ضمن مجموعة الأدلة نفسها . في هذه الحالة ، يبدو من المنطقي قبول تفسير متعدد العوامل .

قدّم ديفيد هربرت إطارًا مفيدًا يُمكن من خلاله إدراج العوامل المختلفة التي يبدو أنها متورطة (الشكل 10.4) . ترتبط مجالات الجريمة والانحراف بسياقات بيئية محلية متعددة ، وترتبط عمومًا بمجموعة من المشاكل الاجتماعية . يُمثّل الفقر المحور الرئيسي للنموذج ، ويُنظر إليه على أنه نتاج عوامل هيكلية تُنتج ، من خلال تفاوت فرص الوصول إلى المرافق التعليمية وفرص العمل ، "بيئة اجتماعية غير شخصية" (أي السكان المحليين) تتكون من "الخاسرين" - كبار السن ، والعاطلين عن العمل ، والمنبوذين ، وأفراد الأقليات.

أحد جوانب البحوث المتعلقة بالجريمة التي قدّم فيها الجغرافيون مساهمات كبيرة في السنوات الأخيرة هو خوف النساء من جرائم العنف . وقد رسمت هذه الدراسات خرائط للمناطق ذات معدلات الجريمة المرتفعة المُبلّغ عنها ، وربطتها بالمناطق التي تدّعي النساء أنهن أكثر قلقًا بشأن تعرضهن للعنف ، والهدف هو تقييم العلاقة بين الخوف والمخاطرة . تجدر الإشارة إلى وجود مشكلة منهجية خطيرة في مثل هذه الدراسات ، إذ يُعتقد أن الجرائم العنيفة ، وخاصة الجرائم ذات الطبيعة الجنسية ، لا يُبلّغ عنها بشكل كافٍ ، سواءً للشرطة أو لعلماء الاجتماع . ومع ذلك، تُمثّل هذه الدراسات نوعًا من المفارقة . فمن ناحية ، تخشى النساء في الغالب الغرباء في الأماكن العامة .

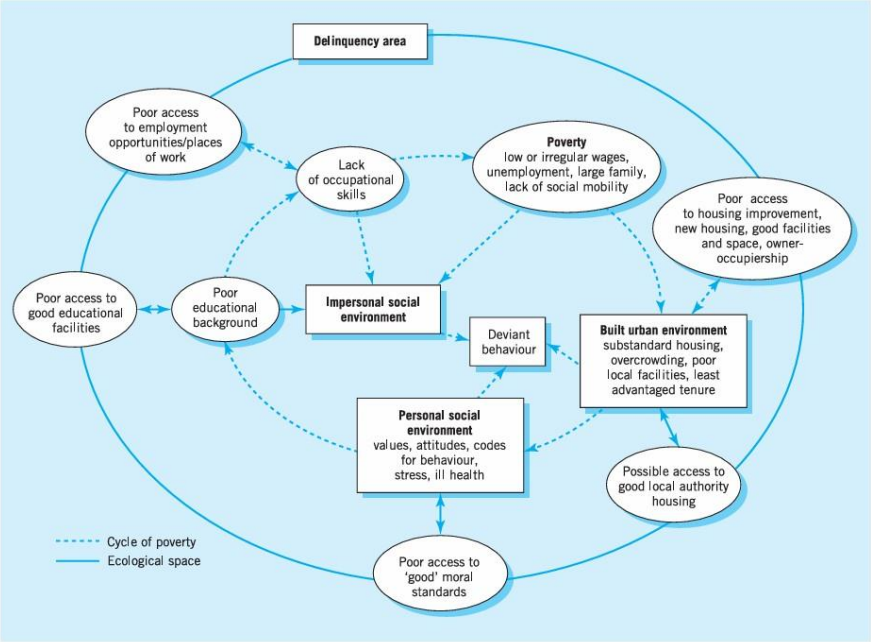

Figure 10.4 Delinquency residence: the cycle of disadvantage and its spatial connotations.
Source: Herbert (1977), p. 277.

ومع ذلك ، أظهرت الدراسات أن النساء أكثر عرضة للاغتصاب أو التعرض للعنف . العنف على أيدي رجال يعرفونهم ؛ وبالتالي ، فهنّ أكثر عرضة للخطر في منازلهنّ أو في الأماكن شبه الخاصة منه في الأماكن العامة . ومع ذلك ، هذا لا يعني أن خوف النساء من الغرباء في الأماكن العامة "غير عقلاني" . وكما يشير باين (1997) ، تُغمر النساء بتقارير إعلامية عن الجرائم الجنسية العنيفة ، والتي تميل إلى المبالغة في مخاطر أنواع معينة من السلوكيات مع تجاهل أخرى . وبالطبع، يُعدّ الخوف مصدر قلق كبير حتى لو كان مبالغًا فيه . تجادل فالنتاين (1992) بأن خوف النساء من الجرائم العنيفة مرتبط بالبناء الاجتماعي للمساحة ضمن مجتمع أبوي . فالأيديولوجيات "التقليدية" حول دور المرأة تضعها في المنزل بينما يهيمن الرجال على المجال العام . ويمكن عد الجريمة أو الخوف من الجريمة طريقة أخرى تُمكّن شريحة معينة من المجتمع من الهيمنة على المساحة (كما هو موضح في الفصل 3).

الإدراك والفهم

يرتبط الإدراك والفهم بالصور، والتمثيلات الداخلية ، والخرائط الذهنية ، والمخططات ، التي تُنتج عمليات تُستخدم فيها التجارب الشخصية والقيم لتصفية وابل المحفزات البيئية التي يتعرض لها الدماغ ، مما يسمح للعقل بالعمل مع نسخة جزئية ومبسطة (ومشوهة في كثير من الأحيان) من الواقع . قد تُثير المحفزات البيئية نفسها استجابات مختلفة لدى أفراد مختلفين ، حيث يعيش كل شخص فعليًا في "عالمه الخاص" . ومع ذلك ، من المنطقي افتراض أن جوانب معينة من التصورات ستكون مشتركة لدى مجموعات كبيرة من الناس نظرًا لأوجه التشابه في تنشئتهم الاجتماعية ، وتجاربهم السابقة ، وبيئتهم الحضرية الحالية .

كيف تبدو هذه الصور؟ ما هي الجغرافيات الحضرية الموجودة في أذهان سكان المدن ، وكيف ترتبط بالعالم الموضوعي ؟ من الممكن تقديم إجابات مبدئية فقط عن هذه الأسئلة . مع ذلك ، من الواضح أن الناس لا يمتلكون صورة واحدة أو خريطة ذهنية واحدة يمكن الرجوع إليها أو تذكرها متى شاءوا . بل يبدو أننا

نمتلك سلسلة من الصور الكامنة التي تُفعّل لا شعوريًا استجابةً لمهام سلوكية محددة . في هذا السياق ، يمكن التمييز بشكل مفيد بين :

➤ الجوانب الدلاليّة لصور الناس التي تتعلق بالتنظيم العقلي أو المعرفي للمكان الضروري لتوجيههم داخل البيئة الحضرية؛ و

➤ الجوانب التقييمية للصور التي تعكس مشاعر الناس تجاه البيئة ، والتي ترتبط باتخاذ القرارات داخل البيئة الحضرية .

الجوانب الدلاليّة للصور الحضرية

كان العمل الرائد في هذا المجال هو كتاب كيفن لينش "صورة المدينة" ، الذي نُشر عام ١٩٦٠، واستند إلى نتائج مقابلات مطولة مع عينات صغيرة جدًا من سكان الطبقتين المتوسطة والعليا في ثلاث مدن : بوسطن ، وجيرسي سيتي ، ولوس أنجلوس (لينش، ١٩٦٠، ١٩٨٤) . خلال هذه المقابلات ، طُلب من المشاركين وصف المدينة ، وتحديد مواقع المعالم المهمة لهم ، ورسم مخططات تخطيطية ، بهدف استخلاص خريطة ذهنية من وعيهم . من خلال فحص البيانات الناتجة ، وجد لينش أن الناس يُشكلون ، على ما يبدو، صورتهم الذهنية عن المدينة من حيث خمسة أنواع مختلفة من العناصر : المسارات (مثل الشوارع ، وخطوط النقل ، والقنوات)، والحواف (مثل شواطئ البحيرات ، والجدران ، والجسور شديدة الانحدار ، والمنحدرات)، والمناطق (مثل الأحياء السكنية أو مناطق التسوق المُسماة)، والعقد (مثل الساحات ، والساحات العامة ، والتقاطعات المزدحمة) ، والمعالم (مثل المباني البارزة ، واللافتات ، والآثار).

وكما أشار لينش ، لا يوجد أي من هذه العناصر بمعزل عن الآخر في أذهان الناس . فالمناطق مُهيكلة بعقد ، تُحددها الحواف ، وتتخللها المسارات ، وتتخللها المعالم . وهكذا تتداخل العناصر وتخترق بعضها البعض ، وقد يكون بعضها أكثر هيمنة من الناحية النفسية من البعض الآخر . وجد لينش أيضًا أن سكان مدينة معينة يميلون إلى بناء خريطتهم الذهنية للمدينة باستخدام العناصر نفسها ، وأنتج خرائط بارعة لإظهار الصورة الجماعية لمدينة بوسطن (الشكل 10.5) ، باستخدام رموز متفاوتة الوضوح للإشارة إلى نسبة المشاركين الذين ذكروا كل عنصر .

ومن النتائج المهمة الأخرى أنه في حين أن الصورة الجماعية لبوسطن كانت مبنية على مزيج كثيف إلى حد ما من العناصر، فإن صور لوس أنجلوس وجيرسي سيتي كانت أقل تعقيدًا بكثير. اقترح لينش أن هذا يعكس اختلافًا في وضوح أو قابلية تصوير المدن ناتجًا عن الاختلافات في "خصائص الشكل" للبيئة المبنية . وجادل بأن هذه تشمل وضوح وبساطة الشكل المرئي ، واستمرارية و"إيقاع" الحواف والأسطح ، وهيمنة (سواء من حيث الحجم أو الكثافة أو الاهتمام) وحدة مورفولوجية واحدة على غيرها ، و وجود أو غياب التمايز الاتجاهي من حيث عدم التماثل والتدرجات والسمات الشعاعية .

على الرغم من تعرض عمل لينش لانتقادات بسبب نهجه البديهي في تحديد عناصر الصورة ، وشكوك حول جدوى محاولة تجميع صور الأشخاص ذوي الخلفيات والخبرات المختلفة تمامًا ، إلا أن هذه التقنيات لاقت تطبيقًا واسعًا . ومن النتائج المتسقة اختلافات الطبقات الاجتماعية في تصوراتها عن المدينة . ففي الأساس ، يميل سكان الطبقة المتوسطة إلى امتلاك صورة أكثر شمولًا من سكان الطبقة الدنيا ، حيث تغطي مساحة أوسع بكثير وتتضمن عددًا أكبر وتنوعًا أكبر من العناصر . وينطبق هذا بالتأكيد على لوس أنجلوس ، حيث ترتبط العرقية ارتباطًا وثيقًا بالوضع الاجتماعي والاقتصادي .

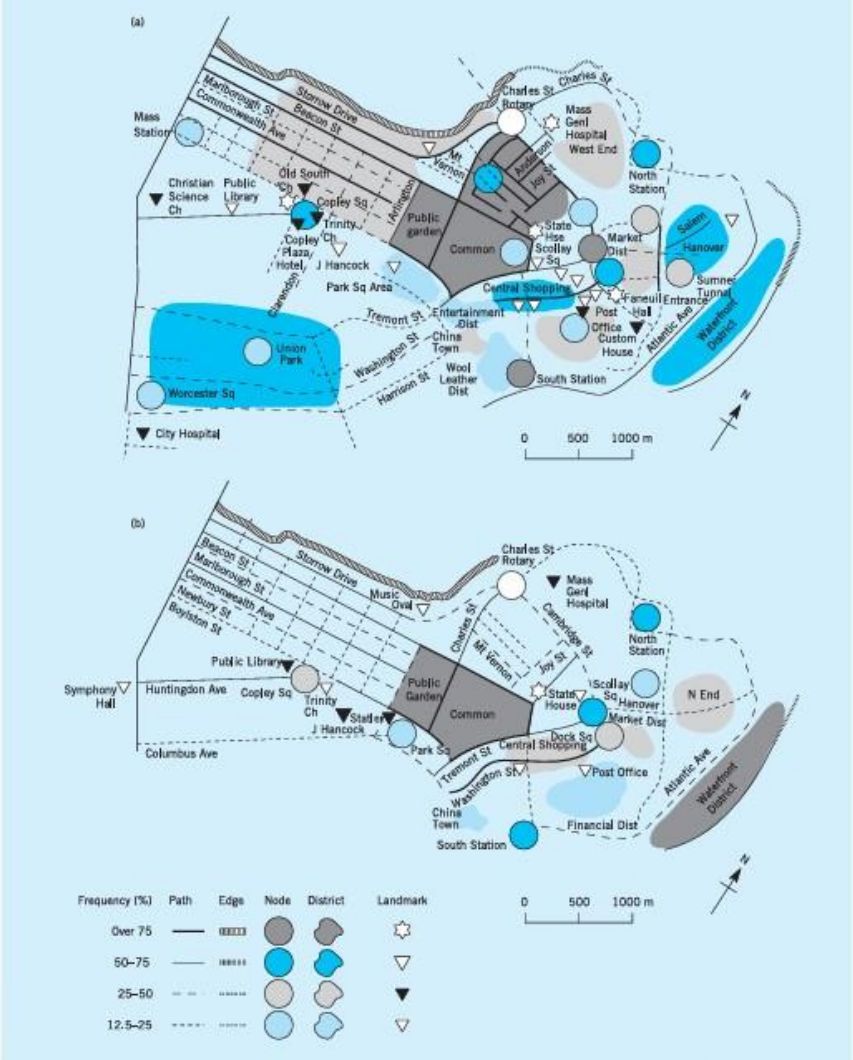

Figure 10.5 Designative images of Boston as derived from: (a) verbal interviewing; (b) sketch maps.
Source: After Lynch, Kevin., *The Image of the City*, drawing from p. 146. © 1960 Massachusetts Institute of Technology, by permission of the MIT Press.

يمتلك سكان ويستوود البيض ذوو المكانة الرفيعة (حي "سفوح التلال" الواقع بين بيفرلي هيلز وسانتا مونيكا) صورة واضحة ومفصلة وشاملة لحوض لوس أنجلوس بأكمله (الشكل 10.6أ) ، بينما يمتلك سكان نورثريدج (ضاحية في وادي سان فرناندو) من الطبقة المتوسطة صورة أقل شمولاً، بعيدة عن جوهر المدينة (الشكل 10.6ب) . وفي الطرف الآخر من السلم الاجتماعي والاقتصادي ، يمتلك سكان حي أفالون ، وهو حي يسكنه السود ، بالقرب من واتس ، صورة أكثر غموضًا عن المدينة ، والتي ، على عكس الصور البيضاء المتشكلة حول الشوارع الرئيسية الممتدة من الشرق إلى الغرب والطرق السريعة ، تهيمن عليها... من خلال تصميم الشوارع الشبكية بين واتس ومركز المدينة (الشكل 10.6ج).

ليس من الصعب تحديد أسباب هذه الاختلافات . فالثروة الأكبر والتعليم الأوسع للبيض ذوي المكانة الاجتماعية الأعلى يمنحانهم قدرة أكبر على التنقل ، وميلًا أكبر لزيارة أجزاء أخرى من المدينة ، وميلًا إلى استخدام مجموعة أوسع من مصادر المعلومات . في المقابل ، فإن الفقراء الأقل تنقلًا ، والذين لديهم رحلة أقصر للعمل ، وتعرض أقل لمصادر أخرى للمعلومات البيئية ، يميلون بطبيعة الحال إلى التوجه نحو المناطق

المحلية بدلًا من التوجه نحو المدن الكبرى : وهو أمر سيعززه الفصل العنصري أو الإثني . وعندما تعزز الحواجز اللغوية هذا الانطواء ، فإن النتيجة المحتملة هي صورة مقيدة للغاية للمدينة ، كما هو الحال في حي بويل هايتس الناطق بالإسبانية (الشكل 10.6د).

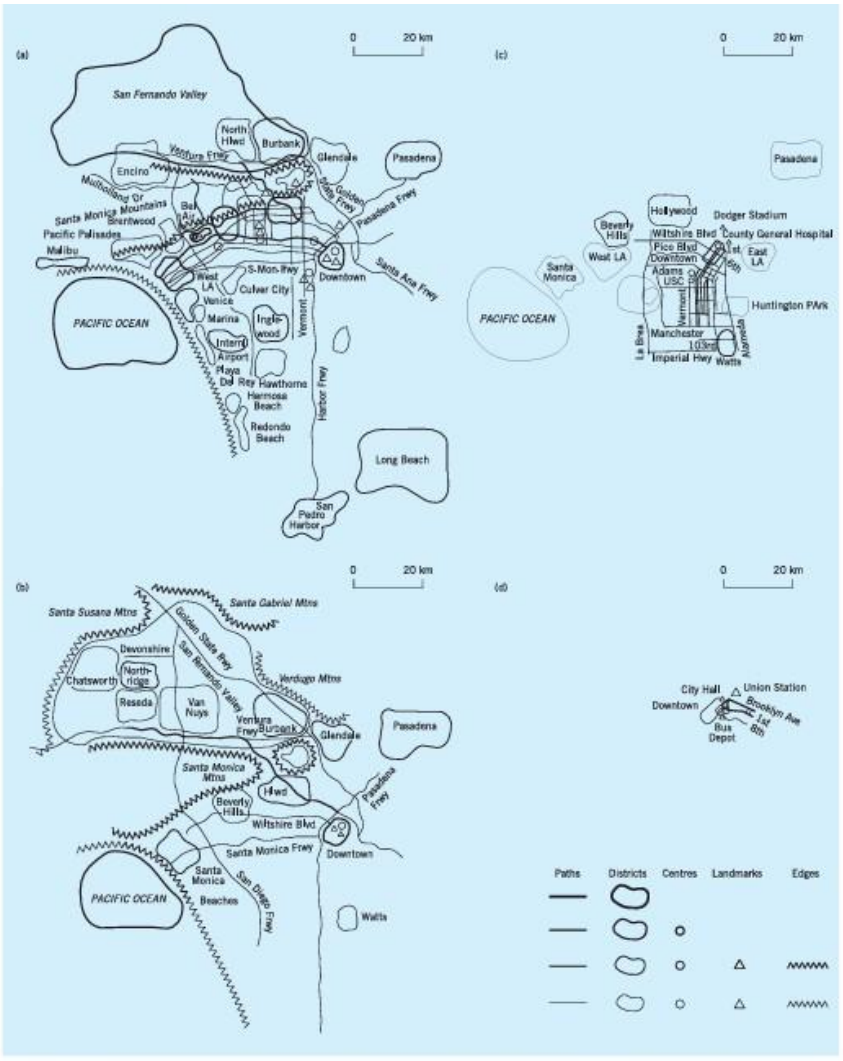

Figure 10.6 Designative images of Los Angeles as seen by residents of: (a) Westwood; (b) Northridge; (c) Avalon; (d) Boyle Heights.
Source: Orleans (1973), pp. 120–123.

المسافة المعرفية

تكمن وراء تنظيم الخرائط الذهنية للأفراد المسافة المعرفية بين عناصر الصورة، وهذا جانب آخر من جوانب التصوير ثبت أنه يُظهر انتظامات مهمة ومثيرة للاهتمام . تُشكل المسافة المعرفية أساس المعلومات المكانية المُخزنة في التمثيلات المعرفية للبيئة . وتنشأ هذه المسافة من آليات متنوعة تشمل إدراك الدماغ للمسافة بين الأشياء المرئية ، وأنماط استخدام البيئة المرئية وبنيتها ، وتأثير التمثيلات الرمزية للبيئة مثل الخرائط وإشارات الطرق . بالنسبة لغالبية الناس ، تكون المسافة المعرفية داخل المدن أكبر عمومًا من المسافة الموضوعية ، بغض النظر عن حجم المدينة و وسائل النقل المُعتادة لديهم ، على الرغم من وجود أدلة تُشير إلى أن هذا التقدير المُبالغ فيه يتراجع مع زيادة المسافة المادية . وقد اقتُرح أن صور الناس وتقديراتهم للمسافة

المعرفية تعتمد على عدد ونوع المحفزات البيئية ، أو الإشارات ، التي يواجهونها على طول المسارات ، أو الدعامات ، التي يستخدمونها عادةً ، وأن الشكل الفعلي للمدينة له أهمية أكبر في تحديد عملية اختيار الإشارات من أي خصائص شخصية ، بما في ذلك مدة الإقامة . كما يُقترح أن الأنواع المختلفة من البنية الحضرية ستؤدي إلى اختيار إشارات مختلفة ، مما يُولد مقياسًا مختلفًا للمسافة المعرفية ويُنتج أنواعًا مختلفة من الخرائط الذهنية .

ومن المتوقع أن يستجيب سكان المدن ذات المناطق المركزية بشكل أكبر للتغيرات في استخدام الأراضي ، على سبيل المثال ، مقارنةً بسكان المدن ذات الهياكل القطاعية ، الذين يُتوقع منهم أن يستجيبوا بشكل أكبر للإشارات المتعلقة بحركة المرور على طول المسار النموذجي من الضاحية إلى مركز المدينة والعودة . بالنظر إلى التأثير المُشوّه للقيم المُرتبطة باختلاف "الأصول" و"الوجهات" ، يبدو من المُرجّح أن يمتلك الناس صورةً أساسيةً عن المدينة ، تتكوّن من شبكةٍ مُتفرّعةٍ من "مساحة عملهم" التي تخضع لتشوّهٍ طوبولوجي ، ربما كل ساعة ، أثناء تنقّلهم في المدينة من نقطةٍ رئيسيةٍ واحدةٍ – المنزل ، مكان العمل ، مركز المدينة - إلى أخرى . على سبيل المثال ، لم يختبر رحلةً ذهابًا وإيابًا أقصر من رحلةٍ ذهابٍ مماثلة ؟ لم تُستكشف بعدُ بشكلٍ كافٍ علاقةُ هذه البنية المعرفية بصورة المدينة الأكثر عموميةً ، على غرار لينش ، ولكن يبدو من المنطقيّ توقّع أن يمتلك معظم الناس تسلسلًا هرميًا مُتشابكًا من الصور، يرتبط مباشرةً بالمقاييس الجغرافية المُختلفة التي يُمثّلون بها جوانبَ مُختلفةً من حياتهم .

الجوانب التقييمية للصور الحضرية

في كثير من الحالات ، لا تكمن أهمية الجوانب الهيكلية للصور الحضرية في أهمية المعنى المرتبط بها ، أو الذي تثيره ، المكونات المختلفة للبيئة الحضرية في خريطتهم الذهنية . من الواضح أن السلوك بجميع أنواعه لا يعتمد فقط على ما يدركه الناس عن المكان ، بل يعتمد أيضًا على مشاعرهم تجاه هذه العناصر المختلفة . على سبيل المثال ، قد تُعد نقطة أو منطقة معينة جذابة أو منفرة ، مثيرة أو مريحة ، مخيفة أو مطمئنة ، أو على الأرجح ، قد تثير مزيجًا من هذه المشاعر . تعكس هذه التفاعلات الجوانب التقييمية للصور الحضرية . بشكل عام ، تنعكس الصور التقييمية للمدينة في مدى جاذبية أو استحسان الأحياء المختلفة كمواقع سكنية . وهذا أمر يمكن قياسه وتجميعه لإنتاج خريطة للصورة الجماعية للمدينة ، والتي يمكن عدها توليفة من كل المشاعر، الإيجابية والسلبية ، التي يشعر بها الناس تجاه الأحياء المختلفة .

الأبعاد المعرفية للبيئة الحضرية

بما أن الناس قادرون على إجراء هذه التقييمات الشاملة لمدى استحسان السكن ، يُطرح السؤال حول كيفية اشتقاقها . بمعنى آخر ، ما هي مكونات التقييم الشامل للناس لمكان أو حي سكني معين ، وما هو شعورهم تجاه هذه الجوانب البيئية المحددة ؟ ما يزال هناك قدر كبير من البحث الذي يتعين إجراؤه قبل فهم تركيبة الصور التقييمية في المدن بشكل كامل . هناك جوانب عديدة للعلاقة الجدلية بين الأماكن وتصورات الناس عنها . بالإضافة إلى هذه الطبقات من الصور، يجب أن ندرك أن كلاً من الناس والأحياء السكنية في تغير مستمر.

وجدت إحدى المحاولات لفهم استجابات السكان الإدراكية للتغيير أن استقرار الحي السكني كان الشاغل المعرفي السائد (أيتكين، 1990) - وقد استُنبطت جوانب أخرى أكثر تحديدًا للصور التقييمية من قبل الباحثين الذين يتابعون مواضيع محددة . على سبيل المثال ، أوضح ديفيد لي (1974) الجغرافيا المحلية للخطر المُتصوَّر في أحد أحياء وسط مدينة فيلادلفيا ، موضحًا كيف تعرّف معظم الناس على نقاط الخطر -

وتجنبوها - بالقرب من أماكن تجمع العصابات والمباني المهجورة وأماكن بيع المخدرات . غالبًا ما تعتمد صور الخوف على الوقت : فالحدائق العامة ، على سبيل المثال ، قد تُعد أماكن هادئة وآمنة نهارًا ، ولكنها قد تُثير مشاعر مختلفة تمامًا ليلًا . كما أنها تعتمد على النوع الاجتماعي ، حيث تتعرض النساء للخوف من الجريمة والتحرش في نطاق أوسع بكثير وبدرجة أكبر بكثير من الرجال . يُعد هذا موضوعًا مهمًا (ولكنه لم يُبحث بشكل كافٍ) ، لأن الأنماط المكانية لإدراك النساء للمخاطر، والمخاطر الفعلية التي يتعرضن لها ، واستجاباتهن السلوكية لها آثار على مشاركتهن المتساوية في المجتمع (سميث، 1989أ؛ باين، 1991).

من الجوانب المهمة الأخرى للصور التقييمية كيفية وصم بعض مناطق المدن الكبرى ، حيث يُصنف سكانها على أنهم "متكاسلون عن العمل" أو "غير موثوق بهم" أو "مزعجون" ، مما يُصعّب عليهم المنافسة في أسواق الإسكان والعمل المحلية . ويتعلق جانب آخر بدور الملابس والأغراض الشخصية (بدلاً من المباني والخصائص الاجتماعية) في المساهمة في مشاعرنا تجاه مختلف أجزاء المدينة . تُستخدم العديد من ممتلكاتنا المادية ، بوعي أو بغير وعي ، للتعبير عما نُحبه أو نؤمن به : فالأحذية ، والكتاب ، والملصق الجداري ، وقطعة بنطال الجينز تُصبح علامات وشارات تُعرض لفترة وجيزة ، لا تُساعد أصحابها على التعبير عن أنفسهم فحسب ، بل تُساعد الآخرين أيضًا على ربط المعنى والأهمية بأصحابها وبيئتهم .

صور منطقة السكن

كما تنعكس الشخصية الفردية في المنزل والممتلكات ، تُترجم الشخصية والقيم الجماعية إلى البيئة الأوسع للمظاهر الطبيعية الثقافية . يؤدي وجود مثل هذه العلاقات بين الأماكن والناس إلى فكرة "الشعور بالمكان" ، الذي يتضمن جوانب من القدرة على التصور، والمعنى الرمزي للأماكن ، و"حب الأماكن" - الرابطة العاطفية بين الناس والمكان (توان، 1974) . في السياق المحدد للجغرافيا الاجتماعية الحضرية ، ربما يكون أهم جانب من جوانب هذا الشعور بالمكان هو التعلق الذي يشعر به الناس بموطنهم . لا شك أن البيئة المادية والاجتماعية المباشرة بالغة الأهمية في التطور النفسي والاجتماعي المبكر للفرد ، ويبدو أن هذا يولّد رابطًا قويًا - غالبًا ما يرقى إلى مستوى التبجيل - للوطن الإقليمي : وهي ظاهرة أطلق عليها يي فو توان (1976) اسم "التدين الجغرافي" .

ترتبط هذه المشاعر بوضوح بفكرة الإقليمية ، وهناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى وجودها كنوع من "التعلق بالجوار" الكامن لدى معظم الأشخاص الذين عاشوا في منطقة معينة لفترة زمنية معينة . يظهر الدليل الأبرز على هذه المشاعر بعد إجبار الناس على مغادرة أحيائهم السكنية سعياً وراء مشاريع إعادة التطوير أو التجديد ، حيث يُبلغ الكثيرون عن مشاعر الحزن على فقدان أحيائهم القديمة . ويبدو أن منطقة سكن الناس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـ "مساحة أنشطتهم" المحيطة بالمنزل . وفيما يلي وصف أحد الأشخاص لـ "منطقة سكنه" : كان مجلس لندن الكبرى مسؤولاً عن امتداد عمراني على شكل كرة رجبي يبلغ طوله حوالي خمسة وعشرين ميلاً وعرضه عشرين ميلاً [40 32 كم]؛ أما مدينتي فهي رقعة صغيرة على شكل كلية داخل تلك المساحة ، حيث لا تبعد أي نقطة فيها أكثر من سبعة أميال عن أي نقطة أخرى .

ومن الجنوب ، يحدها على ضفاف النهر، شمالاً عند لسان هامبستيد هيث وقرية هايغيت ، غرباً عند مقبرة برومبتون ، وشرقاً عند محطة شارع ليفربول . نادراً ما أتجاوز تلك الحدود ، وعندما أفعل أشعر وكأنني في أرض غريبة ، أرض مليئة بالمخاطر والشائعات . كيلبورن ، على الجانب البعيد من حدودي الشمالية والغربية ، أتخيلها مسكونة بأيرلنديين سكارى شرسين ؛ هاكني ودالستون يسكنهما تجار سيارات متعجرفون بشوارب صغيرة وأسنان مطلية بالذهب ؛ لندن جنوب نهر التايمز ما تزال تبدو غير منطقية ومشروطة ، أرض دوائر لا معنى لها ، وأنظمة أحادية الاتجاه غير مفهومة ، ومستودعات ومتاجر طيور

أقفاص . كأي رجل قبيلة يحيط نفسه بسور. من بين المحرمات ، أُحدِّد حدودي بالمقابر، ومحطات المواصلات ، والبرية . وخلفها، لا شيء يُؤتمن ، وقد يحدث أي شيء .

إن ضيق هذه المدينة الخاصة - داخل المدينة - يشبه نبوئة متحققة بذاتها . حدودها ، التي وُضِعَت في الأصل بالصدفة والعادة ، تزداد واقعيةً لا أقل كلما طالت مدة إقامتي في لندن . لديّ أصدقاء يعيشون في كلافام ، على بُعد ثلاثة أميال فقط ، لكن زيارتهم رحلةٌ لا مفر منها ، لأنها تتطلب عبور النهر . مع ذلك ، يُمكنني زيارة أصدقاء في إزلنغتون ، وهي أبعد بمرتين من كلافام ، لأنها تقع ضمن ما أشعر بأنه أرضي الخاصة. (رابان، ١٩٧٥، ص ١٦٦-١٦٧)

ملخص الفصل

10.1 يُظهر التوزيع الجغرافي لمواقع الجرائم المُبلغ عنها ومواقع المجرمين المُقبوض عليهم أنماطًا مُتميزة في المدن . طُرحت العديد من النظريات لتفسير هذه الأنماط ، إلا أن الحاجة إلى تفسير متعدد العوامل تُعدّ أمرًا بالغ الأهمية .

10.2 يُكوّن الناس صورًا ذهنية أو تمثيلات للمدن بناءً على سمات رئيسية واضحة ، مثل المعالم الرئيسية وشبكات النقل . تؤثر هذه الصور على آراء الناس حول مدى استحسان المناطق المختلفة داخل المدن .

ملحق 1

الاتجاهات الرئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية-

الاستخدام المتزايد لخرائط الجريمة

في سبتمبر 2008، أصبحت لندن أول مدينة بريطانية تُوفر للجمهور موقعًا إلكترونيًا لخرائط الجريمة ، يُظهر أعدادًا ومعدلات لكل 1000 نسمة لأنواع مُختارة من الجرائم المُسجلة : السطو، والسلب ، وجرائم المركبات . تُصنف الخرائط الأحياء والمقاطعات الفرعية على مقياس مُتدرج من المعدلات المرتفعة إلى المنخفضة إلى المرتفعة . تهدف هذه المبادرة إلى تعزيز التعاون بين الشرطة والمجتمعات المحلية ، بالإضافة إلى توجيه الموارد نحو المناطق ذات معدلات الجريمة المرتفعة ، وهي تتبع خبرة واسعة في الولايات المتحدة باستخدام خرائط الجريمة . على سبيل المثال ، يجمع مركز خرائط العدالة في جامعة كولومبيا معلومات حول مجموعة واسعة للغاية من البيانات المتعلقة بنظام العدالة الجنائية .

بالإضافة إلى خرائط مستويات الجريمة ، توجد بيانات حول أعداد البالغين في السجون ، والأشخاص تحت المراقبة ، والأحداث المحتجزين ، وحالات المراقبة والإفراج المشروط ، ومستويات إعادة إدماج السجناء . هناك أيضًا روابط مع مشاريع تسعى إلى فهم العوامل الخلفية التي تساهم في السلوك الإجرامي ، مثل ضعف التعليم ، وضعف الدعم المجتمعي ، وتعاطي المخدرات ، والحرمان الاجتماعي والاقتصادي . وبالتالي، تشمل المؤشرات الأخرى ذات الصلة التي يتم رسم خرائط لها : مستويات ملكية المنازل ، والأسر ذات الوال د/ الوالدة الوحيد/ة ، والبطالة ، ومستويات دعم الرعاية الاجتماعية ، وبطاقات الطعام ، وبرنامج Medicaid ، ورعاية الأطفال بالتبني ، وتقارير إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم .

تُظهر استطلاعات الرأي العام دعمًا واسعًا لمثل هذه الخرائط ، وتحظى بشعبية سياسية . ومع ذلك ، فقد زعمت جماعات حقوق الإنسان والليبرالية في المملكة المتحدة وجود مشكلات تتعلق بخصوصية البيانات مرتبطة برسم خرائط تفصيلية للغاية للجرائم . في الولايات المتحدة ، من المؤكد أن الأفراد غير محددي الهوية ، حيث يتم تجميع البيانات على مستوى الكتل والأحياء السكنية . ومع ذلك ، فإن رسم خرائط الجريمة

في الولايات المتحدة يُجرى حتى الآن على مستوى أكثر تفصيلًا بكثير مما هو عليه في المملكة المتحدة . حذرت بعض المجموعات المعنية بسوق الإسكان في المملكة المتحدة من أن أسعار المساكن قد تنخفض في المناطق التي تشهد معدلات جريمة مرتفعة .

ملحق 2

نقاشات رئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية-

ما هي مزايا الجغرافيا العلائقية ؟

كان من أكبر التطورات في الجغرافيا البشرية في السنوات الأخيرة نموّ المناهج العلائقية ، مما أدى إلى ما أسماه البعض "التحول العلائقي" . لهذه المناهج آثار على طرق دراسة المدن وجغرافيتها الاجتماعية . على الرغم من تعدد وتنوع المناهج العلائقية في طبيعتها ، إلا أنه من الممكن التمييز بين نوعين رئيسيين (صنلي، 2008) .

النهج الأول محدد النطاق، وينبثق من علم الاجتماع الاقتصادي.

يركز هذا النهج على الطرق التي يتأثر بها النشاط الاقتصادي بشكل كبير بالعوامل الاجتماعية . وقد بحث هذا النوع من العمل ، على وجه الخصوص، في كيفية ارتباط النشاط الاقتصادي ، بدلاً من أن يُحدد بحسابات عقلانية دقيقة للمزايا ، بعوامل اجتماعية وثقافية ، مثل تنمية الثقة والولاء الناتجين عن التفاعلات المباشرة . غالبًا ما ارتبط هذا النوع من النشاط الاقتصادي بالتفاعلات داخل مجموعات شركات التكنولوجيا العالية (التي تُسمى غالبًا بالمناطق الصناعية ، أو المساحات الصناعية الجديدة).

أما **النهج الثاني** فهو موقف فلسفي واسع النطاق يجادل بأنه لا يمكننا فهم الظواهر إلا من خلال النظر في روابطها وتفاعلاتها . وبهذه الطريقة ، فإن ما يبدو كيانات متجانسة مستقرة ، محددة بالحدود والأقاليم ، هي في الواقع أشياء غير متجانسة وغير مستقرة ، تُعاد صياغتها باستمرار من خلال عمليات متفاعلة . ويتجلى هذا النهج في آراء ألين وآخرين (1998) حول المناطق ، ورأي أمين وثريفت (2002) حول المدن . وبالتالي ، فإن "التكوينات المكانية والحدود المكانية لم تعد بالضرورة أو عن قصد إقليمية أو قياسية ، لأن الداخل والخارج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي يتشكل من خلال طوبولوجيات شبكات الجهات الفاعلة التي أصبحت أكثر ديناميكية وتنوعًا في تكوينها المكاني" (أمين وثريفت، 2002، ص 1).

علاوة على ذلك ، "بالنظر إليها بهذه الطريقة ، لا تأتي المدن والمناطق بأي وعد تلقائي بالسلامة الإقليمية أو النظامية ، لأنها تُصنع من خلال مكانية التدفق والتجاور والمسامية والاتصال العلائقي" (أمين وثريفت، 2002، ص 34). لذلك ، يحاول هذا النهج العلائقي تجنب نوع التفكير الثنائي الذي غالبًا ما يرتبط بالجوهرية ، وهي فكرة وجود عناصر أساسية ثابتة تحدد سلوك وبنية النظم الاجتماعية . يُطلق أحيانًا على النهج العلائقي اسم النهج **"غير القياسي"** لأنه يحاول تجنب مساواة العمليات الاجتماعية بمقاييس مكانية محددة.

وإذا نظرنا إلى التفاعلات الديناميكية لرأس المال العالمي ، والمهاجرين الدوليين ، ورسائل الإنترنت ، والسياح ، والسلع والخدمات التي تتدفق باستمرار عبر المدن الحديثة وتُشكلها ، فإن هذا النهج يتمتع بجاذبية كبيرة . وبالتالي، فإن محاولة التحكم فيما يحدث في مدن مثل لندن بسياسات ضمن حدودها الإدارية الخاصة غالبًا ما تكون بالغة الصعوبة . ومع ذلك ، يُجادل سونلي بأن التفكير العلائقي نهج واسع ومفتوح ، لدرجة أنه يفتقر إلى الدقة والوضوح المفاهيميين . ويشير إلى أن هذا النهج غالبًا ما لا يُولي اهتمامًا كافيًا لطبيعة الروابط

، ويُقلل من أهمية حقيقة أن بعض الروابط قد تكون أكثر أهمية من غيرها ، وخاصة تلك التي تتمتع بمؤسسات قوية، مثل الحكومات والبنوك والشركات .

ملحق 3

نقاشات رئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية-

كيفية فهم جغرافيات ثقافة الطفولة والشباب

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي حظي به جنوح الأحداث في دراسات الجريمة والاضطرابات في المدن ، إلا أن جغرافيي المدن ، حتى وقت قريب ، لم يُولوا اهتمامًا يُذكر لقضايا ثقافة الطفولة والشباب . هذه الفئات ، على أي حال ، هي "مفاهيم اجتماعية" تباينت مع مرور الزمن . على سبيل المثال ، على الرغم من أن وجود "الطفولة" قد يبدو بديهيًا ، إلا أنه في المجتمعات الغربية ، لم يبرز المفهوم إلا في القرن التاسع عشر . في السابق ، يبدو أن جميع الشباب ، بمجرد تجاوزهم مرحلة التبعية الطفولية، كانوا يُعدون بالغين مصغّرين لا يُعطون أي اعتبارات خاصة (سكيلتون وفالنتين، 1998).

علاوة على ذلك ، في البداية ، كانت الطبقات العليا فقط هي التي تستطيع منح أطفالها اعتبارات خاصة في شكل التعليم والتربية . وهكذا ، لم يبرز مفهوم الطفولة فعليًا إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، من خلال عوامل مثل نمو التعليم الشامل وعلم النفس التنموي . ويُعدّ مفهوم "المراهقة" أحدث من الطفولة ، إذ يعود في جوهره إلى القرن العشرين . وقد قيل إنه مع تطور الرأسمالية الصناعية في القرن التاسع عشر، بدأت الطبقات المتوسطة في تمديد فترة تعليم الأطفال لتجهيزهم بشكل أفضل لاحتياجات الاقتصاد الجديد . وامتدت هذه الفترة بشكل أكبر خلال القرن العشرين ، وخلال هذه الفترة ظهرت سلسلة من المواضيع التي سيطرت على الخطابات المحيطة بالمراهقة منذ ذلك الحين – التمرد ، والعنف ، والجريمة ، وجنوح الأحداث ، والسلوك المعادي للمجتمع الجامح ، والحاجة إلى السيطرة .

ومع ذلك ، فقد برز المراهقون في صدارة الوعي الشعبي خلال ما يُسمى بالازدهار الطويل للفوردية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي . أدى التركيز على الاستهلاك في هذه الفترة إلى ظهور سلسلة من السلع مثل الأسطوانات والملابس وأجهزة الراديو المحمولة ومشغلات الأسطوانات والسيارات - إلى جانب خدمات مثل النوادي وقاعات الرقص - التي كانت تستهدف الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و25 عامًا . خلال هذه الفترة ، ظهرت سلسلة من "الهلع الأخلاقي" حول أنماط حياة مختلف الثقافات الفرعية للشباب : "مغنيو الروك" ، و"المودز" ، و"الهيبيز" ، و"البانك" ، و"الحليقون" ، و"المتحمسون" ، و"الشباب الصاعد" ، وما إلى ذلك . النتيجة ، التي استمرت حتى القرن الحادي والعشرين ، هي "التصور الشائع للشباب على أنهم متوجهون نحو الاستهلاك ، ويتبعون أنماطًا ثقافية فرعية قائمة على الموسيقى والمخدرات ، وأنهم أحرار في خوض غمار رحلات المغامرة" (سكيلتون وفالنتين، 1998، ص 1).

كما يشير جيمس (1990) ، فإن المراهقة إذن هي مرحلة انتقالية أو حدية بين الطفولة والبلوغ . وهكذا، تُبرز المراهقة الطرق التي تُبنى بها مفاهيم الشيخوخة اجتماعيًا . فبدلًا من كونها مجرد جوهر بيولوجي ، فإن المراهقة مرتبطة أيضًا بطرق معينة في التمثيل - أو الأداء - كما هو موضح في الفصل 3. وهذا يشمل بالطبع أنماطًا معينة في اللباس ، وأنواعًا من الموسيقى ، وطرقًا للمشي ، وأساليب في الكلام . يمكن أن يؤدي هذا التباين بين التعريفات البيولوجية والاجتماعية للبلوغ والمسؤولية الاجتماعية إلى صراعات وتوترات . وهكذا نجد أن المراهقين قد يتصرفون بطرق تكاد تكون بالغة ، حسب السياق . وينعكس هذا الغموض أيضًا في أن التعريفات القانونية للبلوغ ، التي تنعكس في الأحكام المتعلقة بموعد قيادة الشباب للسيارة ، وشرب

الكحول ، وممارسة الجنس ، وكسب المال ، أو الانضمام إلى القوات المسلحة ، تختلف اختلافًا كبيرًا بين المجتمعات .

وتماشيًا مع هذه الخطابات السائدة ، ركزت معظم الدراسات الجغرافية المتعلقة بالشباب على مشاكل جنوح الأحداث كما نوقشت في هذا الفصل . وقد ركزت الدراسات الحديثة على استراتيجيات المراقبة المستخدمة للتحكم في سلوك المراهقين المشاغبين المحتملين في الأماكن العامة مثل مراكز التسوق . ومع ذلك ، تميل المجتمعات الغربية إلى إيلاء أهمية كبيرة لسمات الشباب من مظهر، ولياقة بدنية ، وروح رياضية . وهذا يتناقض مع المواقف السائدة في العديد من المجتمعات الآسيوية التي تميل إلى تبجيل الشيخوخة إلى حد أكبر . يتجلى هذا التفضيل للشباب في الغرب في الإعلانات . لذا ، يصعب تجاهل الاستنتاج بأن المواقف الحالية تجاه الشيخوخة في المجتمعات الغربية مرتبطة ، جزئيًا على الأقل ، بقضايا الاستهلاك.

ملحق 4

الاتجاهات الرئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية-

تطور "المظاهر الليلية الحضرية"

ارتبطت إعادة تطوير مراكز المدن بما وصفه بول تشاترتون وروبرت هولاندز (2003) بـ "المظاهر الليلية الحضرية" - وهي أحياء مليئة بالأنشطة التي تتمحور حول الاستهلاك الليلي الترفيهي والمتعة بين الشباب (أي النوادي والحانات) . وقد عزا الكثيرون هذه التطورات إلى تغير طابع مرحلة الشباب . أدى تأخر الزواج وتربية الأطفال ، والمشاركة المطولة في التعليم العالي ، والاعتماد المتزايد على سكن الوالدين ، إلى زيادة الدخل المتاح للعديد من فئات الشباب البالغين لشرب الخمر وارتياد النوادي . بالإضافة إلى ذلك ، يُقال إن هؤلاء الشباب لديهم رغبة في خوض تجارب جديدة من خلال تجارب أشكال جديدة من الهوية في أجواء احتفالية .

ومع ذلك ، يضع تشاترتون وهولاندز هذه التطورات في إطار الاقتصاد السياسي ، مشيرين إلى التواطؤ بين الحكومات المحلية ومطوري العقارات والشركات الكبرى . وهكذا ، استخدمت كبرى شركات صناعة الجعة والشركات الترفيهية استراتيجيات متنوعة للعلامات التجارية لجذب الشباب الأثرياء إلى أماكن "رائعة" . وكما هو الحال مع العديد من جوانب الاستهلاك في المجتمعات الغربية المعاصرة ، فإن ما كان يُعد سابقًا "بديلًا" ومتجاوزًا للحدود (مثل الحفلات المنظمة ذاتيًا والحفلات الصاخبة) قد أُدمج في الثقافة السائدة (ينظر أيضًا الفصل 11 حول "أماكن المثليين") . ومع ذلك ، تعكس "المظاهر الليلية الحضرية" مزيجًا معقدًا من إلغاء القيود وإعادة التنظيم .

على سبيل المثال ، في المملكة المتحدة ، أدت السياسات الأخيرة التي تهدف إلى تخفيف قوانين الترخيص وحظر تصاريح التخطيط للكازينوهات إلى "ذعر أخلاقي" . اعترض الكثيرون على العنف والجرائم البسيطة وسوء الصحة المرتبطة بالإفراط في تناول الكحول (ما يُسمى "الإفراط في الشرب") في مراكز المدن . ورغم أن الكثيرين يأسفون لصعوبة غرس "ثقافة المقاهي" على الطراز الأوروبي في شوارع بريطانيا ، فإن الاتجاه العام في الولايات المتحدة وأستراليا ، بل وأوروبا ، هو زيادة المراقبة والضبط الأمني والسيطرة على الأماكن الليلية في المدن . ومن المهم أيضًا التذكير بأن العديد من الشباب يُستبعدون من أماكن الترفيه باهظة الثمن بسبب الفقر والبطالة . ولذلك ، أدت إعادة تطوير "الأماكن الليلية في المدن" أحيانًا إلى زوال المفاهيم القديمة المتعلقة بالمساحة العامة والتنوع والوصول الشامل (ينظر أيضًا الملحق 5.4 حول برشلونة والملحق 11.3 حول دبلن).

ملحق 5

نقاشات رئيسية في جغرافية الحضر الاجتماعية-

الطبيعة الأولى والثانية للمدن

تناول هذا الكتاب بشكل أساسي البنية الداخلية للمدن ، وما أسماه الجغرافي السياسي البارز بيتر تايلور (2004) "الطبيعة الأولى" . ومع ذلك ، وكما يُشير تايلور، فإن للمدن أيضًا "طبيعة ثانية" : وهي الترابطات فيما بينها . في الخمسين عامًا الماضية ، أهمل الجغرافيون هذا الجانب الثاني إلى حد ما . أحد الأسباب المحتملة لهذا الإهمال هو أن هذه الطبيعة الثانية معقدة ويصعب تحليلها ، وتتألف من تبادلات معقدة للتجارة والمال والأشخاص والأفكار . ومن الأسباب المحتملة الأخرى أن تفكيرنا في المجتمع يتأثر بشدة بمفاهيم الدولة القومية . وقد أدى ذلك إلى التركيز على الروابط بين التسلسل الهرمي الوطني المفترض للمراكز الحضرية ، وإهمال الروابط بين المدن في مختلف الدول حول العالم .

يشير تايلور إلى أنه على مدى قرون عديدة ، قبل أن تصبح الدول القومية كيانات مهيمنة ، كانت هناك روابط واسعة بين المدن حول العالم . وأبرزها ، منذ القرن الثاني عشر فصاعدًا ، ارتباط البندقية عبر طرق تجارية معقدة بالقسطنطينية وسمرقند ، ثم ببكين ومراكز آسيوية أخرى . ومن الأمثلة المهمة الأخرى الروابط التجارية الواسعة بين عشرات المدن في شمال أوروبا التي ازدهرت من القرن الثاني عشر إلى القرن السابع عشر فيما أصبح يُعرف باسم "الرابطة الهانزية" . و وفقًا لتايلور، فإن إحدى عواقب هذا الإهمال للترابط بين المدن هي علامة استفهام خطيرة حول فرضية "المدينة العالمية" (ينظر أيضًا شورت وآخرون، 1996). وهكذا، فإن أفكار ساسن (2001) المؤثرة للغاية بشأن الدور الاستراتيجي لما تسميه "المدن العالمية" كمراكز قيادة استراتيجية للأعمال والخدمات المالية ، وإن كانت معقولة حدسيًا ، إلا أنها غير مدعومة بأدلة دامغة . يكشف تحليل تايلور الكمي للروابط بين خدمات الأعمال في العديد من المدن عن شبكات معقدة تُشكل ما يُسميه "العالم الخلفي" .

ملحق 6

أفلام رئيسية متعلقة بجغرافية الحضر الاجتماعية

مدينة الله (٢٠٠٢) فيلمٌ آسرٌ يتناول العنف المحيط بحروب العصابات في الأحياء الفقيرة في ريو دي جانيرو. مع ذلك ، ليس لضعاف القلوب.

متمرد بلا قضية (١٩٥٥) من أوائل الأفلام التي تناولت تمرد المراهقين . يزخر الفيلم بتأثيرات التعبيرية التي سادت في خمسينيات القرن الماضي (ينظر أيضًا قسم أفلام الجريمة والدراما في الفصل ١٤).

سلاكر (١٩٩١) نظرةٌ مسليةٌ على ٢٤ ساعةً من حياة الشباب المتسربين من التعليم في أوستن، تكساس.

توين تاون (١٩٩٧) على غرار فيلم "ترينسبوتينغ" ، يتناول هذا الفيلم ثقافة الشباب "اللاأخلاقية" . على الرغم من أنه أقل جودة بكثير من الفيلم الاسكتلندي ، إلا أنه مثير للفضول نظرًا لموقعه غير المعتاد (مدينة بورت تالبوت الصناعية الويلزية المجاورة لسوانسي) . ويشارك في بطولته أيضًا ريس إيفانز (الذي يلعب دور سبايك في نوتينغ هيل) إلى جانب شقيقه التوأم الحقيقي لير.